شيء . ولكن ولي العهد اخذ يضحك هازئاً مما سمع : « إن شجاعة شبيهة بما يملكه ملك بولونيا هي اكثر نفعاً من اموالك » ، هذا ما قاله لأبيه ، « فأي نفع في الثروة إذا لم تكن من القوة بحيث تستطيع أن تحافظ عليها ؟ » . وطفح غضب القيصر . ونحن لا نعرف جوابه ولكنه كان في تلك الحقبة متأثراً اشد التأثر بما سببه لروسيا من هزائم تستحق الرثاء . كان يعرف ما كان يدور على لسان القوم من دمدمات ، وأن الكثيرين يعتبرونه جباناً . بل وأن بعضهم كان يتساءل انـه طالما كان القيصر شيخاً على إدارة شؤون الحملة فلماذا لم يرسل ابنه ليرفع من جديد شرف روسيا وسمعتها في ميدان النزال .

وسأل إيفان الشاب : « لماذا لا تتركني اقود جيشاً واستعيد ما فقدناه ؟ » .

وكان السؤال بغيضاً . يقود جيشاً ، وينتصر ، ويعود ، ويضع نفسه على رأس المستائين ، ويغتال اباه بدون شك أو يجبره على التنازل عن العرش ! . وجعل الغضب والريبة الدم يصعد الى عيني الشيخ فرفع عصاه المشؤومة وضرب بها ولي العهد عدة مرات ثم وجه إليه ضربات وحشية على رأسه من طبرتها الثقيلة . وقد حـاول بوريس غودونوف الذي شهد الحادث أن يوقف هذا الوابل من الضربات ولكن تدخله لم يكن ذا فائدة إذ سقط ولي العهد ووقف القيصر أمامه وعصاه الدامية في يده مخبولا مما فعل ، وكان ندمه سريعاً كغضبه . وانحنى ليحمل ابنه المسكين والألم يجتاح ثناياه وهو يصرخ : « لقد قتلت ابني ، لقد قتلت ابني ! » ، ويضم الوجه الشاحب الملتحي الذي كان يمسك به بين يديه . وأخيراً حاول أن يوقف النزيف واضعاً إحدى يديه على الجرح العميق دون أن يتمكن من تحقيق ذلك . كان يبكي متضرعاً الى الله والناس ، يزأر بالأنين حتى وصل الأطباء .

لم يكن ثمة أمل في أية مساعدة . كانت جروح إيفان الصغير مميتة . وعندما أفاق قال بصوت خافت إنه يسامح اباه . ولكن السماح الذي